

ألفاظ السجود في القرآن الكريم "دراسة لغوية "

الدكتور/ محمد رمضان البع
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية بغزة

1429هـ - 2008م

ملخص:

يتناول البحث ألفاظ السجود في القرآن الكريم مبينا المعاني اللغوية والدينية التي تدل عليها هذه الألفاظ مستعينا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأدعية المأثورة ونظم العرب ونثرها، محاولا الربط بين أصوات كلمة سجد وصفاتها مع ما تحمله من دلالات متعددة تتضمن معنى العبادة، موضحا العلاقة بين مشتقاته الصرفية الفعلية والاسمية معللا نسبية ورودها بدلالة كل منها، ودوام السجود لكل الكائنات، وأن السجود بأنواعه المختلفة لا يكون إلا لله تعالى تعبدا بكيفيته وهيئته التي تتلاءم مع حال العبد الساجد والفوائد الطبية والروحية التي منحها الله تعالى له جزاء سجوده في الدنيا والآخرة.

Abstract :

This research studies the expressions of *sujoud* (prostration) in the holy Qur'an, giving their linguistic and religious significations through examples from Qur'anic verses, Prophetic traditions (*Hadiths*), reported supplications, and Arabic poetry and prose. The study tries to relate the sounds of the word *sajada* (prostrate) to the characteristics of these sounds, and explores how the verbal and nominal morphological derivatives of *sajada* are related. The research also shows that *sujoud* (with its different types) is performed only to Allah (SWT) in order to worship Him in the way that is suitable for the prostrating worshipper, and Allah grants this worshipper with medical and spiritual benefits as a reward in this life and hereafter.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد الأنام، خير من علم القرآن، وأرشد الناس إلى الإيمان، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

القرآن الكريم معجزة الرسول -عليه الصلاة والسلام- التي تحدى بها العالمين، وهو آيات الله البينات، وكتابه العظيم، الذي لم تظفر أمة من الأمم بكتاب مثله، من حيث: البلاغة، والفصاحة، والتأثير في النفوس والقلوب، ومن حيث الرسالة التي حملها، وبالرغم من الجهود التي بُذلت في سبيل خدمة هذا الكتاب؛ فإن القرآن الكريم يبقى بحراً زاخراً يحتاج إلى من يغوص في أعماقه. فهو البرهان الساطع، الحجة القائمة إلى يوم الدين، تشهد بأنه تنزيل الحكيم المجيد؛ بل هو المعجزة الخالدة التي تتحدى الأجيال والأمم على مر الزمن.

وأما عنوان بحثنا فهو:

" أَلْفَاظُ السُّجُودِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ -دراسةٌ لغويةٌ"

نحاول فيه إبراز دلالاتها اللغوية في المعاجم وأقوال العرب نظماً ونثراً، وما يدل عليه من معانٍ لغوية ودينية.

ففي المستوى الصوتي تحدثنا عن العلاقة بين صفات الصوت ودلالاته.

وفي المستوى الصرفي قمنا بدراسة إحصائية لألفاظ السجود، وبيننا ما ورد في القرآن الكريم من مشتقاتها الاسمية والفعلية، وعلاقة ذلك بمعنى السجود.

وفي المستوى النحوي عرضنا لبعض الحروف التي يتعدى بها الفعل اللازم "سجد"، وعللنا كثرة ورود اسم الفاعل وجموع الكثرة على الحالية، وعلاقة ذلك بحال الساجد في صلاته، وأتبعناه بالحديث عن فوائد السجود العلمية.

1- السجود بمعنى الصلاة

أي: سجود الصلاة؛ وهو وضع الجبهة، والساجد: المنتصب في لغة طيء، وسجد يسجد سجوداً: وضع جبهته على الأرض، وقوم سجّد وسجود، وقوله تعالى: ﴿وخرّوا له سجّداً﴾. يوسف:100. فهذا سجود إعظام لا سجود عبادة؛ لأن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله، وأنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يُسجد للمُعظّم، وقيل: خرّوا له سجّداً، أي: خرّوا لله سجّداً، وقيل: الإسجاد فتور الطرف، قال كُنَيْز:

أغرّك من أن ذلك عندنا ... وإسجاد عينيك الصيودين رابح

والسجود على الأرض: لا خضوع أعظم منه، والاسم: السجدة بالكسر، وكل من ذلّ وخضع لما أمر به فقد سجد، قال تعالى: ﴿يتفياً ظلاله عن اليمين وعن الشمال سجّداً وهم داخرون﴾. النحل:48. أي: خُضِعاً، مسخّرة لما سخرت له، وقوله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾. الرحمن:6. معناه: يستقبلان الشمس، ويميلان معها حتى ينكسر الفيء، قال تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾. العلق:19. فالقرآن استعمل السجود بمعناه الحقيقي ثم بمعناه المجازي؛ ففي المعنى الأول: وهو وضع الجبهة على الأرض، قال تعالى: ﴿والقبي السحرة ساجدين﴾. الأعراف:120. وفي المعنى الثاني: وهو سجود الصلاة خضوعاً، وعبادة لله، قال تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجّداً﴾. الفرقان:64.

2- السجود بمعنى الخضوع والانقياد لله تعالى

أي: الانحناء والتطامن إلى الأرض. وسجد الرجل: إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾. الرحمن:6. أي: يخضعان لله. ومن معاني الخضوع وأبرزها: الصلاة، فأطلق الله على الصلاة سجوداً، أي: خضوعاً لجبروته، وكبريائه، ولقوته العظيمة، ورحمته الواسعة، قال تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض﴾. الرعد:15، أي: يصلي.

3- السجود إدامة النظر إلى الأرض

مع سكون الإسجد بكسر الهمزة، وأنشد الأسود:

وفى بها لدرهم الإسجد
... ..

ويقال: أعطونا الإسجد، أي: الجزية. وروي بيت الأسود بالفتح لدرهم الإسجد: وهي دراهم ضربها الأكاسرة، وكان عليها صور، وقيل: كان عليها صورة كسرى، فمن أبصرها سجد لها، أي: طأطأ رأسه لها، وأظهر الخضوع.

والمسجد: الذي سجد فيه؛ وهو اسم مكان من الفعل: سجد يسجد، بمعنى: مكان السجود، ومحلّ العبادة، والمسجد موضع الصلاة اعتباراً بالسجود، والأرض مساجد، وأحدها: مسجد، والمسجد اسم جامع حيث يسجد عليه وفيه، قال (ع): ﴿وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً﴾.

وقال سيبويه: أما المسجد فإنهم جعلوه اسماً للبيت، ومسجد بفتح الجيم: محراب البيوت، ومصلى الجماعات والمساجد. (الآراب) أي: الأعضاء التي يسجد عليها، ويقال: سجد سجدة، وما أحسن سجدته، أي: هيئة سجوده، وقيل: مواضع السجود من الإنسان: الجبهة، والأنف، واليدين، والركبتان، والرجلان. وقد خصّص الله (ﷺ) مسجدين اثنين أصبح اسمهما مصطلحاً عليهما عند كل مسلم هما: المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد الأقصى في القدس الشريف.

ويلاحظ أن كلمتي: "الحرام" و "الأقصى" هما في الأصل صفتان لكلمة المسجد؛ ولكنهما أصبحتا علمين على هذين المسجدين الشريفين، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾. الإسراء: 1.

وقال الكميت يمدح بني أمية: (1)

لكم مسجداً لله المزوران والحصى
لكم قبضة من بين أثري وأقترا

والقبض: العدد، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾. الجن: 18. أراد: أن السجود لله، وهو جمع مسجد، كقولك: ضربت في الأرض، وسجد: خضع، قال الشاعر:

تري الأكم فيها سجداً للحوافر (2)

ويقال: نخلة ساجدة، إذا أمالها حملها، ونخل سواجد، قال لبيد:

بين الصفا وخليج العين ساكنة غلب سواجد لم يدخل بها الحصر

والشجرة ساجدة، والسفينة تسجد للرياح، وتميل بميلها، وفلان ساجد المنخر: إذا كان ذليلاً خاضعاً، وسجد: إذا وضع جبهته على الأرض. وأنشد الأعرابي من بني أسد:

وقلن له اسجد لليلي فاسجدا

يعني: إن بعيرها طأطأ رأسه لتركبه.

ويبدو أن السجود يزيد عن الركوع في درجة الانحناء والتطامن حتى يصل إلى الأرض؛ ولذلك قالوا: سجد البعير، إذا برك. ويروى أن ليلي بنت عروة بن زيد قالت لأبيها: كم كانت الخيل حين قال بنو عامر:

هل تعرفون إذا غدا أبو مكنف قد شدّ عقد الدوائر

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر (3)

فقال: لست أعرف إلا ثلاثة أفراس؛ أحدها: فرسي.

وقد شاع التصور للسجود في الجاهلية، وكان عندهم من يسجد للأخبار من أهل الكتاب حتى يصل سجوده إلى الأرض.

قال حميد بن الثور:

فلما لوين على معصم وكف خضيب وأسوارها

فضول أزمته أسجدت سجود النصارى لأخبارها

4- السجود بمعنى التحية

وقال: ملك تدين له الملوك وتسجد، وقال تعالى: ﴿وخرّوا له سجداً﴾ يوسف:100. سجود تحية لا عبادة، وقال: معنى الخرور: المرور لا السقوط، والواقع أن ابن عباس يقول في قوله تعالى: ﴿وادخلوا الباب سجداً﴾ الأعراف:161. قال: باب ضيق، وقال: سجداً ركعاً، وتسبح الجبال والحيوانات والطيور: تسجد لله⁽⁴⁾، كما عرف عند الجاهليين بمعنى التحية؛ التي تتضمن مشاعر الطاعة والولاء، قال الأعشى:

فإني ورب الساجدين عشية وماصك ناقوس النصارى أبلها

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى يسرتها قبلها

وقد عرف الجاهليون السجود للملك، أو التعظيم لإنسان، أو لإظهار الطاعة أو الخوف من فارس شجاع، قال النابغة⁽⁵⁾:

قامت تراءى سجفى كلة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

أو درة صدفه غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

وقال الأعشى في مدح هوزة بن علي الحنفي:

من يلقي هوزة يسجد غير متنب إذا تعصب فوق التاج أو وضعاً

وقال عمرو مفتخراً:

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرّ له الجبابر ساجدين

هكذا كان معنى السجود في العصر الجاهلي وفي البيئة الجاهلية.

وسجود التحية، قال تعالى: ﴿فقعوا له ساجدين﴾. الحجر:29. أي: خرّوا له ساجدين سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة، أي: سجد لآدم جميع الملائكة، ولم يتمتع منهم أحد، قال تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾. الكهف:50. حين أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجود

تحية وتكريم، لا سجود عبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾. طه:116.

5- السَّجُودُ سَجُودُ التَّلَاوَةِ

وهي السجدة التي يسجد فيها قارئ القرآن عند تلاوته لعزائم السجود⁽⁶⁾، وسجود التلاوة ليس فرضاً؛ بل هو فضل وسنة؛ ولذا لا يشترط لسجدة التلاوة ما يشترط للصلاة الشرعية من وضوء، واستقبال للقبلة، وإن كان يفضل لها ذلك. ويسجد للتلاوة في صلاة الفرض والتطوع وفي غير الصلاة في كل وقت، فعن زيد بن ثابت قال: كنت أقرأ القرآن على رسول الله ﷺ، فقرأت سورة النجم، فلم يسجد ولم نسجد. ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبُحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾. الأعراف:206. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نفوراً﴾. الفرقان:60.

6- السَّجُودُ بِمَعْنَى الرَّكُوعِ

قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾. البقرة:58. أي: ادخلوا باب القرية ركعاً لله، شاكرين له خلاصكم من التيه. وقد يبدو من ذلك أن السجود والركوع مترادفان؛ ولكن كما يبدو أن السجود يزيد عن الركوع في درجة الانحناء والتطامن حتى يصل إلى الأرض؛ ولذلك قالوا: سجد البعير، إذا برك؛ لذلك جعل الركوع في الصلاة انحناءً نصفياً، والسجود انحناءً تاماً، حتى تصل الجبهة إلى الأرض، وقد عرف هذا السجود بأنه أوج الاقتراب إلى الله، فكأنما هو إشارة على أن الإنسان يتحرر من علائق الدنيا حتى يتم عبوديته له تعالى، وقوله تعالى: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾. التوبة:112. أي: المصلون، وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾. آل عمران:113. أي: يتهجدون في الليل بتلاوة الآيات حال الصلاة، وقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. آل عمران:42. أي: صلي لله مع المصلين.

وقد ذكر من أركان الصلاة أعظمها، وهو: الركوع والسجود؛ وإنما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنها أشرف أركان الصلاة.

7- ساجدين بمعنى الأنبياء

قال تعالى: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾. الشعراء: 219. أي: في أصلاب الآباء من الأبناء. ومن دلالات السجود أن السجود قضية حياة، وهي قضية البشر في سجودهم، وفي جحودهم. في كبرهم شقاء، وفي سجودهم عطاء، وفي كبرهم منع، والله هو المعطي، وهو المانع، وأن غير الله لا يستحق السجود. والقرآن يعلمنا أن نسجد لواحد، وهو الواحد الأحد، وعند الشعور بالعزة تأتي السجدة.

وكذلك فرّق القرآن الكريم بين حياتين: بين السجود لفرعون الذي زين لقومه أنه إله، وحضر تمثيلية السحر، وأتى بقومه في يوم الزينة، وجاء سيدنا موسى في هذا الحشر العظيم، وحدث الجدل، قال تعالى: ﴿فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا بربّ هارون وموسى﴾. طه: 70. فقد أحس السحرة بلذة السجود لله، وحقيقة العزة لخالق السموات والأرض، فمن فرعون؟ وما ملكه؟ ومن جنوده؟ هل يترك الخالق، ويعبد المخلوق؟ هل يترك الرب ويعبد العبد؟ شيء عجيب أحس به السحرة، وكانوا جنوداً لفرعون. وفي زيف البهاء والبريق اللامع الذي لا أصل له، عندئذ تركوا دين الخضوع لغير الله. هذا هو التاريخ الذي جاء به القرآن عن الأمم السابقة؛ لبدأ الإسلام بالسجود عند الكعبة: موطن الكفر، والسجود لغير الله؛ لأن المشركين كفروا وسجدوا للأصنام: اللات، والعزى، ومناة، وهبل، إلى أن بلغ العدد ثلاثمائة وستين صنماً، أحاطت بعقولهم وأفكارهم، والشيء الذي يُضَيِّع كل هذا هو الرجوع إلى الحق. وقد استمر السجود لغير الله زمناً، وفي لحظة واحدة إذ جاء النور بيده الظلام، فكانت السجدة كاذبة مدعية كافرة ملحدة، قال تعالى: ﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾. العلق: 19. فالسجود قرب، وحبّ، وعبادة، وهوية. والله مولانا، وهو أولى بنا؛ فالأمة التي تسجد لله رؤوسها في الأرض، وقدرها في السماء أمة ساجدة.

8- السجود مكانه بيت الله

وسميت بيوت الله بالمساجد، وعندما أراد الله أن يكرم رسوله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بدأ الإسراء من المسجد الحرام، وانتهى إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلاء، وفرضت عليه الصلاة، إنّ مكان السجود هو مكان رقيّ وشرف وعلو وعطاء واستجابة؛ فعندما نضع رؤوسنا على الأرض فقد وضعنا العقل والعلم والخبرات، ففي كل سجدة شكر لله تعالى.

كان النبي ﷺ بمكان بين مكة والمدينة، فسجد زمناً، ثم رفع رأسه، فقيل: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: سجدت له تعالى، وسألته أن يشفعني في الأمة فشفعني في ثلثها، فسجدت شاكراً، فشفعني في ثلثها، فسجدت ثالثة شاكراً، فشفعني في الأمة كلها. إنه سجد طلب، وسجد شكر. وهذا السجود سجود عطاء.

ومن دلالة السجود أيضاً: أن المسجد أول بيت للتوحيد، وأن العبادة هي الهدف الرئيس لبناء المساجد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. الجن: 18. والمسجد مركز الإيمان والهداية، كما أن المسجد قاعدة ضدّ الظلم والاستغلال، ومحاربة أعداء الدين.

9- السجدة

وهي اسم للسورة الثانية والثلاثين في القرآن الكريم، والتي تقع في الجزء الحادي والعشرين منه، وجميع آياتها مكية، وعددها ثلاثون آية.

ولأجل تلك الدلالات السابقة الذكر وعظيم شأنها ورفعة العاملين بها سميت السورة القرآنية باسم "السجدة"، دون غيرها من ألفاظ الركوع والتسبيح والعبادة وغيرها؛ وذلك لأن السجود للمؤمن أعظم برهان، وأقرب مكان للواحد الديان. قال العلماء: "وقد سميت "سورة السجدة"؛ لما ذكر تعالى فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار، الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم "خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون" (7).

ومما لا شك فيه أن سورة السجدة كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الإيمان بالله، واليوم الآخر، والكتب والرسول، والبعث والجزاء)، والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو موضوع "البعث بعد الفناء"؛ الذي طالما جادل المشركون حوله، واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول ﷺ. فجاء اسم السورة وآياتها تصديقاً لأوصاف المؤمنين الذين صدقوا الرسول الكريم، وظلت قلوبهم لله عابدة، وجباههم في الصلاة ساجدة، وأعضاؤهم على إيمانهم شاهدة.

* الناحية الصوتية

تتكون كلمة سجد من حروف ثلاثة: (س، ج، د).

فأما السين: فمخرجها بأن ينطلق معها الهواء، فينطلق فيه الصوت بأن يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع ارتفاع مقدمته للثة العليا، مع وجود منفذ ضيق للهواء، ويحدث الاحتكاك، أي: يرفع أقصى الحنك حتى يمنع مرور الهواء من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، فيصير الصوت لثوياً احتكاكياً مهموساً. وفي أول لفظ (سجد) السين، وهو أول حروف الكلمة، والذي يدل على السرعة، أي: سرعة الإقبال على الله⁽⁸⁾.

وإذا كان صوت السين هو أول حروف كلمة سجد، فإن أول سجود الإنسان هي: هيئته، وحركته بعد قيامه من الركوع، وإقباله على السجود، وإن حركته من القيام إلى السجود تكون سريعة بما تحمله من قوة الرهبة، وسرعة الإقبال على الله تعالى، وهي حركة احتكاكية مع الهواء كاحتكاك حرف السين، وهي حركة خفيفة لا تصدر معها حركات مسموعة للأعضاء عند نزولها إلى الأرض، كهمس صوت السين غير المجهور.

ولعل لفظ الصلاة التي تشتمل على التسبيح والسجود والركوع يبدأ جذرها اللغوي وما تشتمل عليه من حركات للعبادة بصوت الصاد والراء والسين، وكلها أصوات احتكاكية تتناسب مع حركات الصلاة المرتبطة بدلالاتها، وما يصحبها من هدوء وخشوع.

أما صوت الجيم فيكون: بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والقم، حتى يصل إلى المخرج: وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان هنا أبطأ بقليل منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى. وهو صوت لهوي احتكاكي شديد مجهور. وحرف الجيم في لفظة (سجد) يدل على حركة مع سرعة في الإقبال على الله⁽⁹⁾.

ولعل التقاء عضوي النطق وسط اللسان مع وسط الحنك الأعلى عند النطق بصوت الجيم، يماثل التقاء أعضاء الجسم من اليدين والصدر والركبتين عند الانحناء في الركوع، أو أثناء وضعها على الأرض في السجود، حيث ينتقل العبد فيهما من حالة إلى أخرى في هدوء، وخشوع، وتذل، وخضوع.

ولعل الصفة الاحتكاكية لصوت الجيم عند البعض، وصفة الشدة له عند البعض الآخر - خاصة العرب القدماء - تمثلان هيئة المصلى الوسطية بين القيام والسجود كوسطية عضوي المخرج عند النطق بالجيم، وكذلك وسطية النطق بين صوت السين الاحتكاكي، وبين صفة صوت السين الاحتكاكية، وصفة صوت الدال الشديدة الانفجارية.

وأما صوت الدال: فمخرجه عند سيويه: طرف اللسان وأصول الثنايا العليا. وهو صوت شديد مجهور، يكون بأن يندفع الهواء مازاً بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم، حتى يصل إلى مخرج الصوت، فينحبس هناك فترة قصيرة جداً لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري نسميه (الدال).

فالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا يعد حائلاً يعترض مجرى الهواء، ولا يسمح بتسريه حتى ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً يتبعه بعد ذلك الانفجار. وحرف الدال يدل على التقاء الجبين بالأرض، وذنوه من الأرض في السجود⁽¹⁰⁾.

وكما هو واضح فإن صفتي الشدة والجهر اللتين يمتاز بهما صوت الدال في مخرجه يتناسبان إلى حد ما مع حركة الإنسان في سجوده على الأرض، فصفة الشدة المتمثلة في التقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وحبسه للهواء حبساً محكماً لا يسمح له بالخروج مطلقاً، يشبه حركة وضع أعضاء الجسم على الأرض عند السجود من الجبين، والكفين، والركبتين، والقدمين؛ إذ لا يكون للشيطان سبيل على المصلي، ولا يسمح له بالدخول إليه من خلالها، كما يقول الرسول ﷺ: {يسجد ابن آدم على سبعة أعضاء}. وقال المفسرون: إن ابن آدم يسجد على سبعة أعضاء كما ذكر النبي ﷺ بالنص الصحيح من الحديث.

كما أن صفة الجهر تتناسب مع الصوت الذي ينتج عن وضع هذه الأعضاء على الأرض عند السجود، وما يصدر عنها من صوت للركبتين، واليدين. ولعل هذه الحروف بمخارجها وصفاتها تدل على سرعة الإقبال عليه في خشوع ورغبة في التذلل إليه في حبّ وخضوع، وتطبيق ذلك كله بهيئة وضع الأعضاء للجسم في السجود والركوع.

* الناحية الصرفية

ذكرت ألفاظ السجود في القرآن الكريم في اثنين وتسعين موضعاً، على قسمين:

القسم الأول جاء على صورة الفعل في خمسة وثلاثين موضعاً:

* ثمانية للفعل الماضي

1- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

البقرة:34.

2- ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

النساء:102.

3- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

الأعراف:11.

4- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

الإسراء:61.

5- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ

أَفْتَنَّاكَ بِهِ وَدَرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾. الكهف:50.

6- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾. طه:116.

7- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾. الحجر:30.

8- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾. ص:73.

* وخمسة عشر موضعاً للفعل المضارع المبدوء بأحد حروف المضارعة

- 1- ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾. آل عمران:113.
- 2- ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾. الأعراف:12.
- 3- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾. الأعراف:206.
- 4- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾. الرعد:15.
- 5- ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾. الحجر:33.
- 6- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. النحل:49.
- 7- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾. الإسراء:61.
- 8- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾. الحج:18.
- 9- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَاجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾. الفرقان:60.
- 10 ﴿وَوَجَدْتُهُمْ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾. النمل:24.
- 11- ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. النمل:25.

12- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَ﴾.
ص:75.

13- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. فصلت:37.

14- ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾. الرحمن:6.

15- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾. الانشقاق:21.

* وفي اثني عشر موضعاً لفعل الأمر (اسجد، اسجدوا، اسجدي)⁽¹¹⁾:

1- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.
البقرة:34.

2- ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. مريم:43.

3- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.
الإسراء:61.

4- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾. الكهف:50.

5- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾. طه:116.

6- ﴿لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ﴾. النمل:25.

7- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.
الحج:77.

8- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾. الفرقان:60.

9- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. فصلت:37.

10- ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعِبُدُوا﴾. النجم:62.

11- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾. الإنسان:26.

12- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾. العلق:19.

القسم الثاني: جاء على صورة الاسم بأنواعه في سبعة وخمسين موضعاً منها:

* المصدر (سجداً)، في أحد عشر موضعاً:

1- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. البقرة:58.

2- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. النساء:154.

3- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. الأعراف:161.

4- ﴿وَرَفَعْنَا أَسْوَابَهُمْ عَلَى الْعَرْشِ وَمَنَعْنَا لَهُمُ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. يوسف:100.

5- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّقِيهِ ظُلُمًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ عَنِ النَّيْمِ وَأَلَّا يَكْتُمَنِ اللَّهُ لَكُمْ قُرْآنًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَلْمُتَّقِينَ﴾. النحل:48.

6- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾. الإسراء:107.

7- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾. مريم:58.

8- ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾. طه:70.

9- ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. الفرقان:64.

10- ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. السجدة:15.

11- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. الفتح:29.

* وفي اسم الفاعل (ساجد) جاء في اثني عشر موضعاً:

1- ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾. الأعراف:11.

2- ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾. الأعراف:120.

3- ﴿النَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. التوبة:112.

4- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. يوسف:4.

5- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. الحجر:29.

6- ﴿الْأَيْبِلَيْسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. الحجر:31.

7- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. الحجر:32.

8- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾. الحجر:98.

9- ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ﴾. الشعراء:46.

10- ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. الشعراء:219.

11- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾. ص:72.

12- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. الزمر:9.

* وكلمة (سجود) جاءت في ستة مواضع:

1- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. البقرة:125.

2- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. الحج:26.

3- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَابِهِ لِيُجِيبَ الرُّزْأَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. الفتح:29.

4- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَارَ السُّجُودِ﴾. ق:40.

5- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. القلم:42.

6- ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾. القلم:43.

* واسم المكان في ثمانية وعشرين موضعاً، منها بصورة المفرد في اثنين وعشرين موضعاً:

1- ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. البقرة:144.

2- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. البقرة:149.

3- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْسَبُوهُمْ وَاحْشَوْنِي وَلَا يَمِمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. البقرة:150.

4- ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنِ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. البقرة:191.

5- ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. البقرة:196.

6- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدَّوْكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. البقرة:217.

18- ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبْتِئَرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا﴾. الإسراء:7.

19- ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾. الكهف:21.

20- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءٍ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يَرِدْ فِيهِ بِالْهَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾. الحج:25.

21- ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُم مَّعْرَةٌ بَعِيرٌ عَلِيمٌ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. الفتح:25.

22- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. الفتح:27.

* وفي صورة الجمع في ستة مواضع:

1- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. البقرة:114.

2- ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. البقرة:187.

3- ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. التوبة:17.

4- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. التوبة:18.

5- ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. الحج:40.

6- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. الجن:18.

وهذه النسبة العددية تشير إلى أهمية المسجد، ومكانته الرفيعة في الإسلام، وبعض أحكامه. وذكر المسجد الحرام في أربع عشرة آية، في حين ذكر المسجد الأقصى في آية واحدة؛ ولعله من خلال النظر إلى هذه الصيغ الصرفية المتعددة الواردة يُلاحظ ما يأتي⁽¹²⁾:

1- إن النسبة العددية لصيغ الأسماء المشتقة من كلمة: (سجد) تعدل 62%، والنسبة العددية لصيغ الأفعال تعدل 38%. وهذا يعني أن صيغ الأسماء أكثر من صيغ الأفعال، وخاصة صيغة المكان مفرداً أو جمعاً، والتي تصل إلى ثمانية وعشرين موضعاً، وبذلك فهي تعدل ثلث النسبة الكلية للأسماء، والأفعال نصف النسبة المتعلقة بالأسماء.

2- إن أكثر صيغ الأفعال وروداً هي صيغة الفعل المضارع، وقد جاءت معظمها في صيغة الغائب خمس عشرة مرة، لتشمل كل الغائب ملكاً، أو إنساناً، أو حيواناً، أو جماداً، ولتمنحه صفة الاستمرارية في الماضي، والحاضر، والمستقبل، والتي يحملها الفعل المضارع؛ وذلك أن دلالة الحال في الفعل المضارع تطابق مطابقة تامة حال كل الكائنات التي تسجد لله منذ خلقت وإلى يوم القيامة.

3- إن الناظر إلى الآيات التي وردت فيها كلمة (سجد) في صيغة الفعل الماضي، يدرك بوضوح أنها لم تأت إلا في قصة آدم -عليه السلام- عندما أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام. ولعل ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: إن ذلك السجود قد حدث بأمر من الله تعالى لملائكته.

والثاني: إن ذلك السجود من الملائكة لأدم -عليه السلام- قد حدث وانتهى في أول الخلق، ولا يمكن أن يتكرر مرة أخرى لأحد من المخلوقات.

وأما فعل الأمر فقد ورد في اثني عشر موضعاً، جاءت خمسة منها في قصة آدم -عليه السلام-، وسبعة أخرى خطاباً للمؤمنين.

4- قرر علماء اللغة أن الزيادة في المبنى تؤذن بالزيادة في المعنى، وبناء عليه فإن الحروف التي زيدت على كلمة (سجد) أخرجتها إلى صيغ اسمية جديدة، وهي: اسم الفاعل (ساجد)، وجموع الكثرة (سُجِدَ وسُجود)، واسم المكان مفرداً وجمعاً (مسجد ومساجد).

فأما اسم الفاعل (ساجد)، فقد ورد في القرآن في اثني عشر موضعاً كما ذكرنا آنفاً. ودلالة اسم الفاعل يرجع إلى ما يميز هذه الصيغة من سمات كل من الاسم والفعل معاً.

ففي تقسيم النحاة القديم للكلم نجد أن البصريين يصنفونها في قسم الأسماء، بينما يصنفه الكوفيون في قسم الأفعال؛ حيث يقسمون الفعل إلى ماضٍ، ومضارع دائم؛ ويقصدون بالدائم: صيغة اسم الفاعل الأمر، الذي جعل ذلك مثار جدلٍ كبيرٍ في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، وقد ترتب على تلك الطبيعة المزدوجة لاسم الفاعل وصار مشتركاً بين الدلالة على الثبوت من جهة النظر إليه كاسم في مقابل الفعل الدال على التجدد.

ولعل وجود صفة الفعلية في المشتقات توضح المسوغات لإدخال هذه الأسماء في باب الفعل الدائم كما سماه الفراء. والفراء هو القائل بمصطلح الدائم⁽¹³⁾، وأعني بالفعل الدلالة على الحدث والحدوث والفاعل أو المفعول؛ لأن الفعل ما دلّ على الحدث وزمنه وفاعله، والحدوث في الأسماء ما يقابل الثبوت؛ وهو دوام التغير وطول أمد الحركة، فقد قال النحاة: إن اسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث وفاعله⁽¹⁴⁾. ويقصد بالحدث: معنى المصدر⁽¹⁵⁾، ف"قائم" -مثلاً- اسم فاعل يدل على القيام وهو الحدث، وعلى الحدث: أي التغير؛ فالقيام ليس ملازماً لصاحبه، ويدل على ذات الفاعل: أي صاحب القيام.

وإن اسم الفاعل يقع وسطاً بين الفعل والصفة المشبهة، والفعل يدل على التجدد والحدوث، فإن كان ماضياً دلّ على أن حدثه تم في الماضي، وإن كان حالاً أو استقبالياً دلّ على ذلك، أما اسم الفاعل فهو أديم وأثبت من الفعل؛ ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فإن كلمة "قائم"

أدوم وأثبت من "قام" أو "يقوم"، ولكن ليس ثبوتها مثل ثبوت "طويل" أو "دميم" أو "قصير"، فإنه يمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس أو غيره، ولكن لا يمكن الانفكاك عن الطول أو الدمامة أو القصر. وقد تكون هناك صفات مشبهة يمكن الانفكاك عنها كعطشان وصدبان، ولكن يبقى الخلاف بينها وبين اسم الفاعل واضحاً⁽¹⁶⁾.

وقد عقد الجرجاني موازنة بين خصائص المضارع واسم الفاعل، وكان ينظر إلى مصطلح الفراء حيث فسر كلمة "الدائم"، فقال في قوله تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد﴾. الكهف:18، فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا، وإن قولنا: كلبهم باسط ذراعيه لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاوله وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاوله وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً. ولا فرق بين "وكلبهم باسط" وبين أن يقول: "وكلبهم واحد" مثلاً في أنك لا تثبت مزاوله، ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً؛ بل تثبته بصفة هو عليها، فالغرض -إن- تأدية هيئة الكلب، ومتى اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهراً بيناً، ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، فإذا قلت: زيد طويل وعمرو قصير، لم يصلح مكانه بطول ويقصر، وإنما تقول بطول ويقصر إذا كان الحديث عن الشيء يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول أو تتحدث فيه عن القصر، فأما وأنت تحدث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد فلا يصلح إلا الاسم⁽¹⁷⁾؛ لأن "اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه، كما يقال فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر، وفلان نفذ أمره، وفلان نافذ أمره، فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك"⁽¹⁸⁾.

ويرى سيبويه في باب اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، تطابق اسم الفاعل والمضارع في الزمن في كل أحوال اسم الفاعل، ويبدأ بالمنون فيمثل للمستقبل بقوله: هذا ضارب زيداً غداً، فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيداً غداً، ويمثل للحال بقوله: فإذا تحدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك وتقول: هذا ضارب عبد الله الساعة، فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيداً الساعة، ويمثل للماضي المستمر بقوله: وكان زيداً ضارباً أباك، فإنما تحدث أيضاً عن اتصال فعل في حال وقوعه، ويمثل له أيضاً بقوله: وكان موافقاً زيداً، فمعناه وعمله كقولك: كان يضرب أباك، ويوافق زيداً⁽¹⁹⁾.

إن اسم الفاعل المضاف إضافة غير محضة كالمنون يصح أن يقع موقع المضارع نحويًا، وليس يغير كف التتوين إذا حذفته مستخفاً شيئاً من المعنى، ولا يجعله معرفة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾. الأنبياء:35، العنكبوت:57. و﴿إنا مرسلو الناقة﴾. القمر:27، و﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم﴾. السجدة:12، و﴿غير محلي الصيد﴾. المائدة:1؛ فالمعنى معنى: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾. المائدة:2(20).

إن اسم الفاعل المقترن ب"أل" يقع في الأزمنة كلها، وهذا متفق عليه عند النحاة، وهو من المواضع التي يقع المضارع المسبوق بموصول، نحو قوله تعالى: ﴿للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾. الحج:53، وقوله: ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾. النساء:75. قال سيبويه: "هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى"⁽²¹⁾، ولعل هذا التشابه بين المضارع واسم الفاعل هو الذي دفع الكوفيين إلى إطلاق مصطلح الدائم على اسم الفاعل، ولم يطلقوه على الصفة المشبهة لوجود الخلاف بينهما.

وقد أجاز الكسائي⁽²²⁾ أن يعمل بمعنى الماضي مطلقاً، كما يعمل بمعنى الحال والاستقبال. والناظر في المواضع السابقة الذكر لاسم الفاعل "ساجد" يرى أنها تدل على معنى الثبوت والدوام والاستقرار في الماضي والحاضر والمستقبل. وكذلك فإن معظمها جاء على صورة الحال، والحال هيئة والسجود هيئة المصلي؛ ولذلك حملت صيغة اسم الفاعل "ساجد" معنى الديمومة الثابتة والحال المستقرة للعبد، كما هو واضح من دلالتها على الحدث والزمن.

5- وأما الصيغ الاسمية الواردة على أوزان جموع الكثرة، فأولها صيغة: (فُعَل)، وهو قياس في كل صفة صحيحة اللام على وزن فاعل أو فاعلة، وذلك نحو: راعٍ، وراكعة والجمع رُكع، وساجد وساجدة والجمع سُجَد، وشامخ وشامخة وشُمَخ، وصائم وصائمة وُصُوم، ونائم ونائمة وُئُوم، وقائم وقائمة وُؤُوم.

وقد ندر مجيء هذا الجمع من الصفة المعتلة اللام، وذلك نحو: عاق وسار وغاز، وقالوا فيها: عَفَى وسَرَى وغَزَى، قال تعالى: ﴿إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى﴾. آل عمران:156، وقد ورد هذا الجمع (سُجَد) في أحد عشر موضعاً كما ذكرنا سابقاً.

وأما جمع (سجود) وهو أيضاً من جموع الكثرة على وزن فعول، فقد ورد في القرآن الكريم في موضعين، وهما قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. البقرة:125. وقوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. الحج:26.

وقد سمعت صيغة (فعول) جمعاً في عدة أوزان على غير القياس، منها: أسد وأسود، وشجن وشجون، وراكع وركوع، وساجد وسجود، وهاجع وهجوع. ولعل ورود صيغتين لجمع الكثرة من كلمة "سجد" يدل على كثرة الساجدين على اختلاف أجناسهم، وأنواعهم، وأحوالهم. إضافة إلى صيغة المذكر السالم "ساجدين"، والتي استعملت في القرآن الكريم للعاقل وغير العاقل على السواء كما بينا.

وصيغ الأسماء هي:

* المصدر

سجود: وهي صيغة المصدر للفعل "سجد" اللازم، وأغلب الأفعال الثلاثية اللازمة المفتوحة العين والمعتلة غير الأجوف يكون مصدرها على وزن (فعول)، وذلك نحو: طلع طلوعاً، وسجد سجوداً، وغرب غروباً، وخرج خروجاً، ودخل دخولاً، ووصل وصولاً، وقد يأتي هذا الوزن في المعتل الأجوف بقلة نحو: غاب غيوباً، والمعتل الناقص نحو: علا علواً، ومضى مضياً.

وقد ورد هذا المصدر في أربعة مواضع في القرآن الكريم:

- 1- في قوله تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وجوههم من أثر السجود﴾. الفتح:29.
- 2- وفي قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾. القلم:42.
- 3- وفي قوله تعالى: ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾. القلم:43.
- 4- وفي قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار السجود﴾. ق:40.

* اسم المكان

وردت صيغة اسم المكان "مسجد" مفرداً في اثنين وعشرين موضعاً، كما وردت صيغة اسم المكان للجمع "مساجد" في ستة مواضع كما ذكرنا سابقاً، وكما هو واضح فإن عدد المواضع التي وردت فيها صيغة اسم المكان مفرداً وجمعاً ثمانية وعشرون موضعاً، وهي تعدل ثلث عدد ألفاظ السجود الواردة في القرآن الكريم كما بيّننا.

ولعل ذلك يرجع إلى أن المسجد هو بيت الله في أرضه، وهو أول بيت وضع للتوحيد؛ لأن العبادة هي الهدف الرئيس الذي من أجله تبنى المساجد. وكذلك فإن المسجد مركز الإيمان والهداية، وهو القاعدة القوية ضد الظلم والاستغلال، وتنطلق منه محاربة أعداء الدين.

ولأجل تلك المعاني كانت الحاجة للمكان الذي تقام فيه العبادة بالصلاة؛ بركوعها، وسجودها، وتتوافد عليه الناس من كل مكان لثبوته، وعدم تغير موضعه مع مرور الزمان، وتعاقب بني الإنسان. ولعل هذه المكانة الدينية، والقيمة الاجتماعية للمسجد تفسر اهتمام الإسلام بالصلاة، باعتبار أن السجود في أصله التظامن والتدلل، وهو عام في الإنسان والحيوانات، وهو نوعان⁽²³⁾:

* النوع الأول: سجود اختيار؛ وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، قال تعالى: ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾. النجم:62؛ أي: تدلّوا له.

* النوع الثاني: سجود تسخير؛ وهو للإنسان والحيوانات والنبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾. الرعد:15. وقوله تعالى: ﴿يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال سجداً لله﴾. النمل:48.

فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وقوله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾. الرحمن:9. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾. النحل:49. ينطوي على النوعين من السجود: التسخير، والاختيار. ولا شك أن السجود في ذاته عبادة؛ إذ إنه يمثل غاية الخضوع؛ بل هو أبلغ صور التدلل لله؛ لأنه يربط بين الصورة الحسية، والدلالة المعنوية للعبادة، في ذلة العبد، وعظمة الرب، وافتقار العبد لخالقه، ولا يكون الإنسان عبداً لله إلا بالتدلل بهذه العبودية. ومن هنا يظهر سرّ اختصاص السجود بالقرب من الله. قال رسول الله ﷺ: {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء} (24).

وقد أولى الله عز وجل عناية خاصة بالمساجد، فنسبها إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أُحْدَادًا﴾. الجن:18. وحالة السجود: هو وضع أعضاء السجود السبعة على الأرض، وبما أن تلك الأعضاء تعد مظهراً لعقل الإنسان وقدرته وحركته فيكون إرغامها على التذلل والخضوع.

الناحية النحوية

ونعرض في هذا الجانب بعض المسائل المتعلقة باستعمال اللفظ "سجد"؛ إذ هو فعل لازم يتعدى لمفعوله بالحرف، نحو: "سجد المؤمن لله"، وبالظرف كقولنا: "سجد المسلم عند الصخرة".

وأهم هذه المسائل:

1- لام الجر للمعنى: إن اللام المستعملة في بعض الآيات القرآنية هي لام من أجل المعنى كما يرى أهل العربية ﴿وخرّوا له سجداً﴾. يوسف:100. وقوله تعالى: ﴿رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. يوسف:4. وغيرها من الآيات، وخرّوا من أجله سجداً لله، شكراً لما أنعم عليهم؛ حيث جمع شملهم، وتاب عليهم، وغفر لهم ذنوبهم، وأعزّ جانبهم، ووسّع بيوسف -عليه السلام-، وهو كقولنا: فعلت ذلك لعيون الناس؛ أي: من أجل عيونهم، وقال العجاج(25):

تسمع للجرع إذا استحيراً للماء في أجوافها خريراً(26)

2- من وما: أسند فعل السجود في القرآن إلى عناصر متعددة من خلق الله كالملائكة، والقمر، والنجم، والشجر، والإنسان، وكل من في السموات والأرض، وما في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَهْنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾؛ فالكون كله يسجد خاضعاً لله: العرش، والكرسي، والسموات، والأرضون، وما بينهما. وهناك من هو أظهر من الإنسان وهم الملائكة في عمومهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْجُدُونَ لَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾. سورة الأعراف:206. وهكذا كان التعبير بلفظي: "من وما" في السجود؛ لأنهما اسمان موصولان يشملان الإنسان، والحيوان، والجماد، سواء أكان مفرداً أو مثني أو جمعاً مذكراً أو مؤنثاً. فـ "من" يطلق على عموم العاقل غالباً، و"ما" يطلق

على عموم غير العاقل؛ ولذلك كان التعبير بهما أكثر من غيرهما في السجود والعبادة والتسبيح؛ لأن هذه القضايا قضايا حياة ووجود، فلا طعم للحياة بدونها، ولا غاية للخلق بغيرها.

3- الحال: مما لا شك فيه أن السجود في لفظه ومعناه يحمل معنى الحركة والهيئة التي يكون عليها حال العبد في صلاته وتقربه إلى الله، ولعل ذلك يفسر وقوع ألقاظ السجود الاسمية في معظمها حالاً؛ لأن الحال في حقيقته وصف منصوب فضلة، يبين هيئة ما قبله من فاعل أو مفعول به أو منهما معاً، أو من غيرهما وقت وقوع الفعل. وتعرف دلالاته على الهيئة بوضع سؤال كهذا، كيف كان شكل كذا؟ أو كيف كانت صورة كذا؟ فيكون الجواب هو لفظ الحال.

وليس من اللازم أن يكون الحال في كل الاستعمالات وصفاً، وإنما هذا هو الغالب، ولا بد أن تكون فضلة، وهذا غالب أيضاً؛ فقد يكون بمنزلة العمدة أحياناً في إتمام المعنى الأساسي للجملة، أو في منع فساده. ولعل ما يبين الحال هيئته من فاعل أو مفعول أو منهما معاً أو من غيرهما يسمى صاحب الحال، ومعنى الحال أنه يأتي مؤكداً لمضمون الجملة التي قبله⁽²⁷⁾.

وقد ورد الحال بلفظ السجود في سبعة عشر موضعاً من مواضع الأسماء في القرآن الكريم البالغ عددها تسعة وعشرين موضعاً، منها أحد عشر موضعاً، جاءت بصيغة جمع الكثرة "سجد"، وستة مواضع بصيغة اسم الفاعل "ساجد"، وعلى صورة جمع المذكر السالم "ساجدين". وليس هذا غريباً؛ لأن الحال في أصله هيئة وحركة، والسجود كذلك هيئة وحركة. ولما كان الحال له صاحب؛ فإن السجود له صاحب أيضاً يسجد بأعضائه السبعة عابداً قائماً شاكراً لله على أنعمه؛ إذ لا يجوز السجود إلا له، فالقلب خاشع خاضع مردد، والجسد بأعضائه ساجد ومتهجد.

ومن هنا كان للسجود فوائد عظيمة في حياته وبعد موته.

فوائد السجود

أثناء السجود تنقلص العضلات الباسطة بالرقبة أثناء الانخفاض والارتفاع بالرأس، بينما تنقلص العضلات القابضة بالرقبة أثناء ثبوت الجبهة على الأرض. وأثناء وضع السجود تنبسط أصابع القدمين انبساطاً كاملاً ملامسة للأرض بأقصى ما يعنيه، وأثناء ذلك تنقبض جميع العضلات الباسطة من الجهة الأمامية من الساقين، وكذلك القدمان، وتسترخي العضلات القابضة بباطن الساق، فيمنع هذا الوضع ركود الدم بأوردة الساقين؛ مما يحول دون تخثر الدم، مع تنشيط

الدورة الدموية. كما يفيد السجود في إزالة الإلتقان الدموي عند منطقة الحوض؛ ولهذا تقل نسبة حدوث البواسير، والنزيف الرحمي.

ومن فوائد السجود أن الإنسان يومياً يتعرض إلى شحنات كهرومغناطيسية من البيئة المحيطة به، وهذه الشحنات تتسلط على الجهاز العصبي المركزي وخاصة المنطقة الأمامية من الدماغ؛ ولذلك يجب التخلص من هذه الشحنات، وإلا⁽²⁸⁾ فإن الناتج يكون آلاماً؛ ولهذا يلجأ كثير من الناس لأخذ المهدئات، والعقاقير، والأدوية، لتقليل الضغط على الدماغ، وأحياناً يصل الحال إلى أننا نحتاج إلى أطباء علم النفس والأعصاب. وإن الطريقة المثلى للتخلص من هذه الشحنات وتأثيراتها هو أن نضع رأسنا - وخاصة الجبهة - على الأرض لتفريغ الشحنات، وبهذا نحصل على الراحة النفسية. والسجود على الأعضاء السبعة له تأثير كبير على مفاصل العمود الفقري، وعلى عملية حركة الدم ورجوعه إلى القلب من جميع مناطق الجسم، وكذلك فإن عملية تسهل خروج الإفرازات من الجيوب الأنفية والوجهية، وأثناء التسليمين حينما ندير رقبتنا يميناً وشمالاً؛ فإننا نكون قد عالجت التشنج العضلي في الرقبة، وفي الكتفين، وبدوره يساعد على علاج صداع الرأس التشنجي⁽²⁹⁾.

نتائج البحث

إن إعجاز القرآن الكريم المتمثل في ألفاظه وأساليبه ومعانيه يأسر العقول، ويدفعها إلى التفكير فيه، والتماس وجوه إعجازه، وقد اختص هذا البحث بألفاظ السجود في القرآن الكريم متتبّعاً مواضعها، وانتهيت فيه إلى ما يلي:

1- إن السجود هو الانحناء والتطامن إلى الأرض، وقد عُرف عند الجاهليين أيضاً بمعنى التحية، والإسجاد بمعنى الجزية، والمسجد هو مكان العبادة ومحل السجود، وهو الموضع الذي يتعبد

فيه المسلم، والمساجد هي الأراب أي الأعضاء التي يسجد عليها، ومنه السجود للصلاة؛ وهو وضع الجبهة على الأرض والتقرب إلى الله بالعبادة.

2- إن العلاقة قائمة إلى حد ما بين أصوات كلمة "سجد" ودلالاتها؛ فنجد أن صوت السين صوت احتكاكي يمتد معه الهواء ليتلاءم مع السرعة والخفة في الإقبال على الله، وأما صوت الجيم باحتكاكه وتذبذب الأوتار الصوتية فيه فيتناسب مع الحركة في سرعة الإقبال على الله بعد بدء الصلاة، والدال صوت شديد مجهور يتناسب مع صوت وضع أعضاء السجود السبعة على الأرض، وصفتها الشدة والجهر بارتفاع الصوت عند وضعها ناتج عن ذلك.

3- إن النسبة العددية للأسماء أكثر من الأفعال، وأكثر من الصيغ تكراراً هي اسم المكان في صورة المفرد والجمع، وهذا يدل على أن السجود يحتاج إلى مكان ثابت للسجود فيه؛ فالفعل متحول في حالته وزمنه، وأما اسم المكان فهو ثابت للعبادة.

4- إن السجود في أصله التطامن والتندل، وهو عام في الإنسان والحيوان والنبات، وهو نوعان: سجود اختيار، وسجود تسخير، وهو عام لكل الكائنات.

5- إن الفعل "سجد" فعل لازم يتعدى إلى مفعوله باللام التي تسمى لام المعنى كما يرى أهل العربية.

6- إن مجيء لفظ "ساجد" مفرداً، و"ساجدين" جمعاً للمذكر السالم، و"سُجِد" جمعاً للقلة بلفظ الحال توحى بحالة المخلوق العابد الساجد، وهي حالة ثابتة واجبة على كل مخلوق في كل الأوقات.

7- إن للسجود فوائد طبية وفيزيائية وصحية تعمل على حماية الإنسان كما قرر العلماء.

المصادر والمراجع

- 1- أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، ط2، 1403هـ/1983م.
- 2- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ط5، 1979م، مكتبة الأنجلو المصرية.
- 3- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: أبو عبد الله الحسين بن أحمد خالويه، 1941م، دار الكتب المصرية.
- 4- إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، ط4، 1415هـ/1994م، اليمامة، دمشق.

- 5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: أ. محمد علي النجار، بيروت، لبنان.
- 6- تجميع آيات الموضوع لآيات القرآن: نوح أحمد محمد، 1414هـ/1994م، مؤسسة الرسالة.
- 7- التضاد في القرآن بين النظرية والتطبيق: محمد نور الدين المنجد، 1420هـ/1999م، دار الفكر، سوريا.
- 8- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل أبو عودة، 1405هـ/1985م، الأردن، الزرقاء.
- 9- تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت.
- 10- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: علي حسن هلالى، الدار المصرية.
- 11- جدل اللفظ والمعنى: د. مهدي أسعد عرار، 2002م، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.
- 12- دراسات لغوية في القرآن الكريم: د. أحمد مختار عمر، 1421هـ/2001م، عالم الكتب، القاهرة.
- 13- رحلة الإيمان في جسم الإنسان: د. حامد أحمد محمد، 1417هـ/1996م، دار القلم، دمشق.
- 14- الزمن في القرآن الكريم: د. بكري عبد الكريم، 1971م، دار الفجر، القاهرة.
- 15- شرح التصريح على التوضيح: العلامة خالد الأزهرى، مطبعة الحلبي، القاهرة، مصر.
- 16- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني.
- 17- فقه السنة: السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، مصر، 1425هـ/2004م.
- 18- فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- 19- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتاب، بيروت.
- 20- كتاب حروف المعاني: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.
- 21- لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم، دار المعارف، القاهرة.
- 22- مختصر صحيح مسلم: الحافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري، تخريج وفهرسة: عصام الدين الصبابي، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ/2003م.
- 23- معاني الأبنية في العربية: فضل صالح السامرائي، الكويت، 1981م.

- 24- معاني القرآن: الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، 1955م.
- 25- معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن: سميح عاطف الزين، 1422هـ/2001م، الدار الأفريقية العربية.
- 26- معجم علوم القرآن: إبراهيم محمد الجرمي، 1422هـ/2001م، دار القلم، دمشق.
- 27- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي،
- 28- المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم: محمد بسام الزين، إشراف: محمد عدنان سالم، ط2، 1416هـ/1995م، دار الفكر، بيروت.
- 29- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف، دار الفضيلة.
- 30- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار العلاقة، بيروت، لبنان.

الهوامش

-
- (1) لسان العرب لابن منظور: مادة سجد.
 - (2) المرجع نفسه: مادة سجد.
 - (3) المرجع نفسه: مادة سجد، ص: 1940.
 - (4) صفوة التفاسير: الصابوني، ج1، ص50.
 - (5) تهذيب اللغة: الأزهرى، ج1، ص569.

-
- (6) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: الأزهرى، ابن خالويه، ص: 43.
- (7) صفوة التفاسير: تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، الطبعة التاسعة، ج2، ص: 500.
- (8) أسس علم اللغة: ماريوباي، ص: 34.
- (9) جدل اللفظ والمعنى: مهدي عرار، ص: 530.
- (10) فقه اللغة: علي وافي، ص: 220.
- (11) الأصوات اللغوية: سمير شريف، ص: 340.
- (12) المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، ص: 417.
- (13) التصريح: 65/2.
- (14) معاني الأبنية في العربية: ص46.
- (15) المرجع نفسه: ص47.
- (16) الكتاب: 164/1.
- (17) المرجع نفسه: ص166.
- (18) المرجع نفسه: 181/1.
- (19) معاني القرآن: 232/2.
- (20) المرجع نفسه: ص280.
- (21) الزمن في النحو العربي: ص273.
- (22) معاني الأبنية في العربية: ص49-50.
- (23) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ص: 423.
- (24) مختصر صحيح مسلم: باب الدعاء في السجود، حديث رقم (298)، ص102.
- (25) تجميع آيات الموضوع لآيات القرآن: نوح أحمد، ص: 471.
- (26) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن: سميح عاطف الزين، ص: 22.
- (27) النحو الوافي: عباس حسن، ج2، ص: 369.
- (28) رحلة الإيمان في جسم الإنسان: د.حامد أحمد محمد، ص: 494.
- (29) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل أبو عودة، ص: 548.
